الباب السابع

من أخبار المعاصرين في الإنفاق

الباب الخامس

من أخبار المعاصرين في الإنفاق

صاحب النياق في ظل صدقته:

ذهب أحد القدماء قبل مائة عام تقريباً- وهو يروي ما حدث- يتفقد أغنامه وإبله فرأى إحداها يكاد الربيع أن يفجر الحليب من ثديها، كلما اقترب ابن الناقة من أمه درت وانهل الحليب منها من كثرة الخير، قال: فنظرت إليها وتذكرت جاراً لي له بنيات سبع فقراء فقلت: والله لأتصدقن بهذه الناقة وولدها على جاري. وكانت أحب النياق إلى نفسي.

والله سبحانه يقول: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران:٩٢].

فأخذتها وابنها ودققت باب الجار وقلت: خذها هدية مني لك، يقول: فرأيت الفرح في وجهه لا يدري ماذا يقول فأخذها وأصبح يحلبها ويشرب منها ويطعم بنياته.

فلما انتهى الربيع وجاء الصيف بجفافه وقحطه تشققت

الأرض، وبدأ البدو يرحلون يبحثون عن الماء والكلأ فشددنا الرحال نبحث عن الماء بين الدحول[1].

يقول: فدخلت في هذا الدحل لأحضر الماء حتى نشرب وأولاده الثلاثة خارج الدحل ينتظرون، فتاه تحت الأرض ولم يعرف الخروج، انتظر أولاده يومين وثلاثة فلم يخرج فقالوا: إنه قد مات لعل ثعباناً لدغه، أو إنه ضاع تحت الأرض وهلك وكانوا والعياذ بالله ينتظرون هلاكه طمعاً في الميراث فذهبوا إلى البيت وقسموا الميراث فقال أوسطهم: أتذكرون ناقة أبي التي أعطاها للجار؟ إن الجار لا يستحقها لنأخذها منه ونأخذ ابنها ونعطيه بدلاً منها بعيراً.

فذهبوا إلى المسكين وقرعوا عليه الباب وقالوا: هات الناقة، فقال: ولم؟ إن أباكم قد أهداني إياها وأنا آكل منها وأشرب، فقالوا: أعد الناقة خيراً لك وسنعطيك بدلاً منها هذا الجمل وإلا سحبنا الناقة عنوة ولن نعطيك شيئاً.

قال: أشتكيكم إلى أبيكم، قالوا: لقد مات، قال: كيف؟ لِمَ لم أدر؟ قالوا: دخل دحلاً في الصحراء ولم يخرج، فقال: اذهبوا

(١) الدحول: حفر في الأرض متشعبة توصل إلى محابس مائية تحت الأرض.

بي إلى هذا الدحل، ثم خذوا الناقة وافعلوا ما شئتم ولا أريد جملكم.

فذهبوا به فلما رأى المكان الذي دخل فيه صاحبه الوفي ذهب وأحضر حبلاً وأشعل شعلة ثم ربطه خارج الدحل ونزل على قفاه حتى وصل إلى أماكن يحبو فيها وأماكن يزحف وأماكن يتدحرج ويشم رائحة الرطوبة تقترب ويسمع أنين الرجل عند الماء، فأخذ يزحف على الأرض ووقعت يده على الطين، ثم وقعت يده على الرجل فوضع يده على أنفاسه فإذا هو حي يتنفس بعد أسبوع، فقام وجره وربط عينيه حتى لا تنتبه بالضوء، وسحبه إلى خارج الدحل وأطعمه التمر وسقاه، وحمله على ظهره وجاء به إلى داره ودبت الحياة في الرجل من جديد، وأولاده لا يعلمون فقال: أخبرني بالله عليك أسبوعاً كاملاً وأنت تحت الأرض ولم تمت، قال: سأحدثك حديثاً عجباً، لما نزلت ضعت وتشعبت بي الطرق فقلت: آوي إلى الماء الذي وصلت إليه وأخذت أشرب منه ولكن الجوع لا يرحم، والماء لا يكفي، وبعد ثلاثة أيام وقد أخذ الجوع مني كل مأخذ وبينما أنا مستلق على قفاي وقد فوضت أمري وأسلمت نفسي- إلى الله، فإذا بي أحس بدفء اللبن يتدفق على فمي فاعتدلت في جلستي

وإذا بإناء في الظلام لا أراه يقترب من فمي فأشرب حتى أرتوي ثم يذهب، فأخذ يأتيني ثلاث مرات في اليوم ولكن منذ يومين انقطع ما أدري ما سبب انقطاعه، فقال له: لو تعلم سبب انقطاعه لتعجبت، ظن أولادك أنك مت، فجاءوا فسحبوا الناقة التي كان الله يسقيك منها، والمسلم في ظل صدقته.

الأفغاني والتجارة الرابحة:

هذه القصة يرويها الشيخ أحمد القطان فيقول:

ذات مرة خطبت الجمعة بمسجد الدوحة بالكويت، وفي المساء بعد صلاة العشاء ذهبت إلى أخي في الله إمام المسجد وكان له عادة أن يستضيفني في مكتبة المسجد، وعندما دخلت المسجد لاحظت في إحدى زواياه رجلاً أفغانياً بملابس رثة بالية يبدو عليه آثار الفقر المدقع.

جلس حوله بعض الأفغان ووقف بجانبه آخرون وكانوا يحيطون به وكأن على رؤوسهم الطير ومن شكل اجتماعهم حوله يبدو أنه رجل مهم!

فأتيت الإمام وقلت له: من هذا؟ عرفني عليه.

فقال: يا شيخ هذا الرجل عملنا له الآن إذن دخول

للكويت، ولكننا لا نجد من يكفله، أولاً نحن فقراء لا نستطيع، وهؤلاء جماعته لا أحد منهم يستطيع أن يدفع ستمائة أو سبعمائة دينار، فهم فقراء على قدر حالهم، الواحد منهم لا يملك إلا ديناراً أو دينارين.

فقلت: من هذا؟ قال: والله هذا يا شيخ من كبار المحسنين في أفغانستان، قلت: كيف؟ قال: هذا عنده مزارع تفاح ومزارع عنب، مساحتها مثل مساحة نصف الكويت، وعنده شوارع وأحياء يملكها كلها، ولكن أشهر عمل اشتهر به أنه لما كثرت أمواله وكثرت خيراته أصبح كثير الإنفاق على الناس، فعمل ديواناً كبيراً ووضع فيه مكتباً لحل مشاكل الناس، الذي عليه دية مثل ثلاث أو أربع عشائر متحاربين مع بعضهم البعض يصلح بينهم ويدفع أموال القتلى، وإذا علم أن هناك أرملة أو يتيماً أو مسكيناً ينفق عليهم، فيشتري لهم سكناً ويجعل لهم دواباً يحلبونها ويستفيدون منها مثل البقر والغنم وغيرها، ومن أول النهار إلى آخر الليل لا شغل له إلا الإصلاح بين الناس وحل المشاكل والإنفاق على المحتاجين، وتزيد أمواله وتكثر.

ولما جاء الغزو الشيوعي على أفغانستان دخلوا مدينة هيرات

وأخذوا كل شيء وما أبقوا شيئاً، أكلوا الأخضر- واليابس وسلبوا الأموال ودمروا المساكن، واستطاع الرجل أن يهرب أهله وزوجته وأولاده وأولاد أولاده، اثنا عشر نفراً، بعضهم إلى الهند، وبعضهم إلى إيران، وبعضهم إلى باكستان، وتفرقت عائلته في كل مكان وذهب هو وابن له استطاع أن يدخل الكويت.

فقلت: أنا أكفله فقال الإمام: كيف؟ قلت: أكفله على أنه طباخ!

وفي اليوم الثاني أخذته معي بالسيارة إلى الجوازات، وأول ما دخلت ما سألني أحد ولا استفسر أحد واستقبلني أحد الضباط هناك: أهلاً وسهلاً كيف الحال؟ وكأنه يعرفنا.

فقلت في نفسي: يسرها الله من أولها، وفعلاً كفلته كطباخ وابنه ملحق به في الجواز، وركبنا السيارة وإذا فيها مائتان وأربعون ديناراً فقلت له: هذه مائتان وأربعون ديناراً قرضاً مني، وإذا ما تيسرت أحوالك ادفعها لمندوب المجاهدين تبرعاً.

اجتمع مع أصحابه الأفغان، ماذا يفعلون؟ اشتروا له وانيت يعمل عليه ويشتغل به، وكانت هذه السيارة قديمة جداً وما كادت تمر أربع ساعات على شراء السيارة حتى حصل له حادث

تصادم مع حافلة ضخمة تهشمت على أثره السيارة، وهكذا الابتلاء، ولكن لا يأس من رحمة الله.

يقول الأفغاني: خرجت من الحادث سليماً، فالحمد لله السلامة غنيمة، فوضعت يدي في جيبي فإذا به مائة فلس فقط، ماذا أفعل؟ أركب بها مواصلات لكي أذهب إلى ابني الذي يسكن في المسجد أم أشتري بها طعاماً لي ولولدي؟! فتذكر الأفغاني أنني وكيل مدرسة، فقال: أذهب إليه وأسلم عليه وأستأنس به كي يبرد على قلبي وتهدأ نفسي من هول ما حصل لي.

فجلس عندي ووالله ما اشتكى ولا قص علي قصة الحادث، ولكنه جلس يتكلم عن بلده وعن أحوال المجاهدين، وبينما نحن جلوس اتصل بي أحد الإخوة الأثرياء من الناس المحسنين بالهاتف وسأل عن حالي وأخباري فقلت له: إن عندي رجلاً من وجهاء أفغانستان رتبته أعتقد عالية ومن المحسنين وأعتقد أنه محتاج، هل أبعثه لك تتفاهم معه، فلديه خبرة في التجارة، يجلس معك تسأله ويسألك وتستفيد منه؟ فقال: مرحباً، وجاءه الأفغاني وجلس معه وخرج من عنده بقرض عشرة آلاف دينار

كويتي من جلسة واحدة.

جاءني يحمل المال معه فسألته: ماذا حصل لك؟ قال: أقرضني عشرة آلاف دينار بعد أن جلست معه وتكلمت عن الكويت قديماً عندما جئتها من قبل، وأنها تغيرت وذكرت له بعض أسماء الناس الذي أعرفهم، فعرفهم فوثق بي فأعطاني.

فوضع ماله في جيبه وبدون أي تعقيد نزل السوق ومشى في شارع الورش وقطع الغيار فقرأ الأسماء -أسماء الدكاكين- فوقف عند أحدها وقال لصاحب المحل: عندي عشرة آلاف دينار تشاركني في بضاعة من قطع الغيار؟

طبعاً فرح صاحب المحل وقال: نعم أشاركك، ولكن أي قطع غيار؟ قال الأفغاني: نبيع بطاريات.

وفعلاً بدأا في بيع البطاريات، والعجيب أن الناس منذ ذلك اليوم تقبل بكثافة على الدكان وتلك البطاريات، وخلال شهر أو شهر ونصف الشهر أصبح ربحه خمسة وعشرين ألفاً، تعجب صاحب المحل؛ لأنه ما حصل إقبال من قبل على البطاريات بهذه الصورة من قبل، فأراد صاحب المحل أن يشاركه الأفغاني في المحل فقبل الأفغاني وأصبح شريكاً في المحل وما مرت سنة إلا

وسدد العشرة آلاف، بل فتح محلاً آخر وكثر الخير ومرت سنة أخرى فتح فيها محل كهرباء ومخزناً ومرت سنة ثالثة ورابعة وإذا له محلات كثيرة في شارع شويخ.

سبحان الله، ويشتري بيتاً وأربع سيارات، وتكثر أمواله مثل تكاثر الجراد، وهذا مصداق الحديث؛ فقد ظهر أثر بره وإحسانه وصدقته، ولو أن أي إنسان حاول محاولته لما كان له ما كان للأفغاني؛ لأنني أنا نفسي لم أتغير، ما زلت وكيلاً، وإمام المسجد على راتبه لم يتغير، ومن كانوا بالأمس يحاولون أن يجمعوا له الأموال لكي يأكل ما زالوا فقراء كما هم، ولكنها إرادة الله ومشيئته، وسبحان الله أمواله تتكاثر وما يسعى في أمر إلا وتفتحت له الأبواب.

وبفضل الله أصبح أولاده في المدارس وأمواله ما يعلمها إلا الله، وفي كل رمضان له عمرة أو عمرتان ويحج كل عام وبدأ يتصدق للمجاهدين واليتامى والأرامل والمساكين.

ومرت تسع سنوات له في الكويت، والله أعلم كم عنده من الأموال!!

كيف حصل هذا؟! إن الله على كل شيء قدير.. ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم

مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [سبأ:٣٩].

داووا مرضاكم بالصدقة:

تروي إحدى الداعيات أنها كانت تلقي محاضرة في إحدى دور الذكر، وكانت المحاضرة عن فضل الصدقة، وبعد انتهاء المحاضرة قامت الحاضرات بالتبرع بما هو موجود معهن من نقود أو حلي وخلافه.

تقول الداعية: أتتني إحدى الحاضرات، وأعطتني عقداً كانت تلبسه، وكان عقداً ثمين مليئاً بالألماس، فرفضت أن آخذه؛ نظراً لكون العقد ثميناً جداً، لكن المرأة أصرت عليّ، وقالت بأن هذا العقد غالٍ عليها، ولكن لن تبخل به في سبيل الله.

فأخذته مع مجموعة المجوهرات إلى أحد محلات بيع الذهب لبيعه والتصدق بثمنه، فقال البائع: يجب أن نزيل الفصوص أولاً ثم نزن الذهب بمفرده لبيعه. وعندما عدت إليه بعد أن انتهى من نزع الفصوص، أراني شيئاً غريباً، فقد كان هناك شعر وأظافر تحت الفصوص.

تقول الداعية: فأخذتها وكنت في شغف لمعرفة قصة هذه المرأة، فألقيت محاضرة أخرى في الدار نفسها، فأتتني صاحبة العقد بعد انتهاء المحاضرة، وأخبرتني أنها شعرت بارتياح كبير بعد الصدقة.

ثم أرتها الداعية الشعر والأظافر وأخبرتها كيف وجدتها، فقالت المرأة: هل تصدقين أن لي ستة عشر عاماً أعيش مع زوجي وأولادي كالأغراب لا علاقة بيني وبينهم، وعندما تصدقت بالعقد فجأة عادت الأمور، كما كانت وأجمعنا لأول مرة على سفرة واحدة، ونمت مع زوجي وكأن شيئاً لم يكن، وهذا العقد هدية من أعز صديقاتي؛ لدرجة أني كنت أنام والخاتم في يدي!!

* إحدى الداعيات المشهورات كانت في الحرم منذ عدة سنوات، تقول: آلمني ضرسي الذي أجّلت معالجته وحشوه، وكنت في ذلك الوقت سعيدة بوجودي في الحرم، وأريد أن أشتغل بالقرآن، ولو استمر الألم فسوف أضطر إلى الذهاب إلى الطبيبة وسيضيع وقتي..فخطرت في بالي فكرة أن أدفع هذا الألم

بالصدقة...تقول: فتصدقت على إحدى البنات في الحرم...فوالله ما هو إلا وقت قصير وسكن ألمي..وإلى هذه الساعة.. منذ تلك السنة لم أحتج إلى الطبيب لأجله لأنه لم يعد يؤلمني أبداً

* وتروي إحدى الأخوات الجزائريات قصتها مع الصدقة فتقول:

أصبت بمرض السرطان منذ عدة سنوات، فتيقنت بقرب الموت.. وكنت أنفق ما أكسبه من مهنة التطريز على يتامى؛

فسخر الله ﷻ لي المحسنين في الجزائر فتكفلوا بجميع نفقات علاجي، ثم سخر لي هنا في السعودية من يهتم بي ويرعاني، فواصلت علاجي إلى أن شفيت تماماً، ووجدت أخوات صالحات.. هذا مع العلم أني لا أعرف أي أحد في هذا البلد.

لكن الله تبارك وتعالى سخر لي كل شيء بسبب إنفاقي على هؤلاء الأيتام، وكل ما أنفقته عليهم رده الله لي مضاعفاً.

* وهذه قصة واقعية حدثت لأحد الإخوة في فلسطين في مدينة غزة:

فقد تزوج هذا الأخ، ورزقه الله ﷻ ثماني بنات، ولم يأت له

ولد، وبعد عمر رزقه الله ﷻ الولد، ففرح به فرحاً شديداً، لكن بصورة مفاجئة مرض هذا الطفل، وعند فحصه والكشف عليه ظهر أن درجة صفيحات الدم عنده (٢٩) درجة[1]، فكان عندما يضرب أي شخص هذا الطفل يصيبه تجلط في الدماء، ولم يستطع أحد معالجة هذا الطفل، فقرر أبوه أن يأخذه إلى الأردن، فأعطي هنالك دواءً ، على أنه يجب أن يتم الفحص في كل مرة يعطى فيها الدواء، ويتم قياس درجة الصفيحات حتى يعطى الدواء بالقدر المطلوب.

عادوا إلى غزة، ولكن الدواء لم يكن ناجحاً تماماً، فجلس الطفل في بيته وأمه وأبوه ينظران إليه في حسرة وألم، ولسان حالهم يقول: ماذا أصابنا؟.. يا رب اشفى ابننا..

بعد فترة قرر الأب أن يأخذ ابنه إلى المدرسة، فذهب إلى هناك والتقى المدير وشرح له ظرف ابنه، وطلب منه أن لا يضربه أحد، حتى لا يصيبه تجلط، وقبل أن يودع الأب المدير رأى الأب أطفال المدرسة يشربون الماء المالح، وبجانبه مراحيض

(١) درجة صُفَيحات الدم في جسم الإنسان العادي تكون بين (٦٠٠) إلى (٥٠٠) درجة.

المدرسة، فلم تطب نفس الأب لهذا المنظر،فأخبر المدير أنه سيأتي بجالون مياه كبير ويضعه في المدرسة، بعيداً عن المرحاض، وأنه سوف يرسل كل يوم من يملأ هذا الجالون بالمياه الحلوة النظيفة، على حسابه الخاص فوافق المدير.

استمر الأمر على هذا الحال وبعد فترة رأى الأب في نومه أنه جاء أربعة ملائكة فأخذوا ابنه ووضعوه على طاولة مثل طاولة العمليات، وأخذوا يجرون له عملية في بطنه، فبدأ الأب يكبر: الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر!! إلى أن استيقظ على ذلك، ففزعت زوجته وسألته عن حاله، فقال لها: ابنك قد شفي من مرضه.

وفي اليوم التالي ذهب الأب لكي يأخذ الابن الدواء، وقبل إعطائه الدواء أجروا له الفحص، وهنا جاءت المفاجأة، فقد كانت نتيجة الفحص أن درجة صفيحات دم الطفل بدل من أن تكون (٢٩) درجة أصبحت (٥٩٠) درجة!!

تعجب الدكتور! كيف حدث ذلك؟ فقد كان أمراً غريباً بالنسبة له، فقرر إرسال الطفل إلى طبيب آخر، ولسان حاله يقول: لعلي أكون مخطئاً.

ذهب الأب بابنه إلى طبيب آخر، وتم الفحص فتعجب الطبيب أيضاً؛ فقد أظهرت الفحوصات أن الطفل قد شفي تماماً من المرض، فقرر الأطباء الاتصال على الطبيب الأردني وشرحوا له الموضوع فقال لهم بكل إيمان بالله ﷻ: نحن الأطباء نعالج المرضى لكن الله هو الذي يشفي المرضى.

فانظر أخي المسلم إلى كرم الله ﷻ!

فإن هذا الأب عندما أشفق على أطفال المدرسة فقام بالتبرع بالمياه العذبة للمدرسة، وكان كل يوم يرسل سيارة لكي تملأ الجالون بالمياه على حسابه الخاص؛ أجزل الله له المثوبة، في الدنيا بشفاء ابنه، ولأجر الآخرة خير وأبقى.

فيا لله! ما أعظم كرمه! وأعظم مثوبته!

قال ابن القيم ﷺ: «فإن للصدقة تأثيراً عجيباً في دفع أنواع البلاء، ولو كانت من فاجر أو ظالم، بل من كافر؛ فإن الله يدفع بها عنه أنواعاً من البلاء»[1].

من مواقف الإمام ابن باز في الإنفاق:

(١) الوابل الصيب (١/ ٤٩).

ونختم هذا الكتيب بذكر مواقف عطرة للإمام الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمة الله تعالى عليه:

يحكي أحد طلاب الشيخ أن محتاجاً جاءه يسأله فأمر أن يكتبوا له بألف ريال، فزاد هذا الرجل عليها صفراً، فصارت عشرة آلاف ريال، فلما ذهب الرجل بالورقة إلى المسئول المالي للشيخ ليصرف له المبلغ، اتصل المسئول بالشيخ؛ لأنه يعرف أن هذه الحاجة لا تستحق أن يصرف لها ذلك المبلغ، فقال للشيخ: هل حولت لفلان بعشرة آلاف ريال، فقال الشيخ: ماذا قال لكم؟! فذكر له أنه قال ذلك. فقال الشيخ: أعطوه إياها!

وفي عام (١٤٠٢هـ) حصل الشيخ رحمه الله على جائزة الملك فيصل العالمية، فتبرع بالمبلغ كاملاً مباشرة لصالح دار الحديث الخيرية الأهلية بمكة.

وفي عام (١٤١٧هـ) حينما سافر إلى الطائف قادماً من مكة، فتح بيته للناس كالمعتاد، ولكن لم يفد إليه الضيوف والفقراء والمساكين في الأيام الأولى، وذلك لأن كثيراً منهم لم يعلموا بوصوله بعد، فتألم الشيخ وقال للعاملين معه، ما بال الناس لا يأتون، هل أنتم تعتذرون من أحد، أو تغلقون الأبواب في وجوه

الناس، أم ما هو السبب؟

فقالوا: يا شيخ كثير منهم لم يعلم بوصولك، وبعضهم يحب أن ترتاح في الأيام الأولى، فقال: اذهبوا وأخبروا الناس، وأخبروا الجيران وقولوا لهم الشيخ يدعوكم، وبيته مفتوح لكم!!

*   *   *

*   *

*